

شخصية روائية تعود للحياة مجددًا

في قصة مثيرة جدًّا وشغلت الناس في أوروبا مدة طويلة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين قام أحد الكتاب، وهو الكاتب والطبيب الأسكتلندي السير آرثر كونان دويل (1859-1930م)، بابتكار شخصية خيالية في إحدى رواياته أسماها شيرلوك هولمز، ثم أراد إنهاء حياتها في رواياته وقصصه لأنه أراد التفرغ لنوع آخر من الكتابة، لكن قراءه لم يقبلوا بذلك، وأجبروه على إعادتها للحياة.

وقد استخرج دويل اسم محققه من اسمي لاعبي كريكت شهيرين هما شاكلوك وشيرون ليصنع اسم شيرلوك. كان دويل يصف مناطق لندن في رواياته وقصصه وصفًا تفصيليًّا دقيقًا، وهو ما كان يثير إعجاب القراء ويدفعهم إلى زيارة تلك المواقع التي ذكرها في كتبه، وصُوِّرت بعدها في الأفلام.

ويعد شيرلوك ثاني أكثر شخصية صورت في الأفلام بعد دراكولا، وبلغ من شهرته أن الجمعية الملكية للكيمياء جعلته زميلًا فخريًّا فيها رغم أنه شخص غير حقيقي.

هي من القصص اللافتة التي تبرز العلاقة الفريدة بين الكاتب والشخصية الروائية التي أوجدها، من جهة، وبين القارئ وعالمه الخيالي المفضل، من جهة أخرى. فبعد أن نشر دويل قصص شيرلوك لسنوات، ثم قرر في ديسمبر 1893 أن يتخلص من هذه الشخصية، نشر قصة (المشكلة الأخيرة) في مجلة ستراند، وكتب رسالة إلى أمه قال فيها إنه يريد أن يصرف عقله لأشياء أفضل، مشبهًا شعوره تجاه هولمز بـ"التخمة من تناول طبق فاخر بكثرة". لكن هذا الموت المفاجئ لبطل رواياته واجهه معجبو هذا البطل بغضب شديد لم يتوقعه دويل، كما أدى إلى قيام أكثر من 20 ألف قارئ بإلغاء اشتراكاتهم في المجلة التي تنشر القصة، وهو ما أثار الفزع لدى موظفيها، وامتلاً صندوق بريد الكاتب بالرسائل الحزينة على البطل والمستنكرة والغاضبة على الكاتب، حتى وصفه بعضهم بالوحش، بل إن بعضهم أعلن الحداد عليه وارتدى السواد.

لم يتراجع دويل عن قراره بموت تلك الشخصية ثمان سنوات، رغم معارضة حتى والدته لذلك، لكنه، في عام 1901م، أصدر رواية (كلب آل باسكريفيل) (Baskervilles the of Hound The) وقدمها كقضية قديمة وقعت قبل موت هولمز، ما أعطى الناس أملًا في عودة شخصية هولمز للحياة ثانية. وفي أكتوبر 1903 استسلم دويل أخيرًا وأعاد هولمز إلى الحياة في قصة (مغامرة البيت الخالي) (Empty the of Adventure The)

بعدها اختار ، يابانية قتالية لـ فنون باستخدامه السقوط من البطل نجاة الكاتب فسر وقد (House).
الاختفاء عمدًا لملاحقة بقية أعضاء عصاة مورياتي. وقد استمر دويل في كتابة مغامرات هولمز حتى عام 1927م.

وتطرح هذه الحادثة جدلية متكررة حول العلاقة بين القراء والشخصيات الروائية التي يعشقونها وكيف يمكن لذلك أن يغير مسار الأدب، ومدى أحقيتهم في ذلك، وحق الكاتب في اختيار النهاية التي يراها في شخصيات رواياته.

وقد مُنح دويل لقب سير في عام 1902م من قبل الملك إدوارد السابع، ولكن بسبب كتاب آخر، وأقيم متحف باسم شيرلوك في لندن، وَوُزِّعت مجموعات مقتنيات له في مواقع أخرى يزورها الناس، رغم أن شيرلوك شخص غير حقيقي ولم يكن هناك منزل أصلاً عندما كتب كوناان القصص. ويقول البعض إن الشخصية شبه حقيقية لشخص اسمه بنجامين بيل، وهو طبيب شرعي عمل لديه دويل كاتبًا في مشفى أدنبره الملكي، وبسبب قوة ملاحظته وقدرته على حل المشاكل فإن الشرطة كانت تستدعيه للانضمام إلى التحقيقات، تمامًا كما يفعل شيرلوك في روايات دويل.

ولا تزال شخصية شيرلوك حاضرة بين الناس ولا سيما النخب المهمة بعالم الرواية، حيث توجد جمعيات في أنحاء العالم تحت اسم جمعيات شيرلوك هولمز يزيد عددها على 400 (تضم ما يزيد على 80 ألف عضو) خاصة في أمريكا واليابان وإيطاليا وفرنسا والهند، هدفها مناقشة قصص هذه الشخصية كأنها أحداث حقيقية، ويلبس أعضاؤها قبعة تشبه قبعة هولمز، ولا يزالون يصدرون دراسات وكتبًا حولها بعد نحو قرن من موت كاتبها. كما تنظم زيارات إلى الأماكن التي وقعت فيها بعض أحداث مغامرات هولمز، بل إن إدارة مترو أنفاق لندن أطلقت اسم شيرلوك هولمز على أحد قطاراتها الكهربائية قبل قرن من الزمن لتكون الشخصية الخيالية الوحيدة هناك التي يحدث لها ذلك.